مواجهة دعوات الانبياء عليهم السلام

م . جاسب غازي رشك
جامعة ميسان / كلية التربية الاساسية

الخلاصة :
يتناول البحث مواجهة دعوات الانبياء والرسل (عليهم السلام) من خلال الهدف من بعثة الانبياء ، والظواهر والاساليب التي اتبعها الاعداء في مقابل هذه الدعوات الالهية والتي تمثلت بظواهر السخرية والتشكيك والغفلة والعناد وكيف تعامل الانبياء(عليهم السلام) مع هذه الظواهر ، ومصير الامم التي تركت وواجهة دعوات الانبياء (عليهم السلام) ، واسباب رفض هذه الدعوات من قبل الامم التي عاصرت دعواتهم ومن اهم الاسباب هو تضارب المصالح الشخصية وبالاخص من قبل الحكام ، والتقليد الاعمى من قبل الامم للموروث التقليدي للآباء ، مع خاتمه لاهم النتائج والتوصيات .

المقدمة :
إنّ دعوات الأنبياء والمرسلين ، من المسّلم أن تواجه رفضاً من قبل طوائف المجتمع المختلفة التي ضربت مصالحها.
والقرآن الكريم يستعرض موقف المجتمعات من دعوات الأنبياء والرسل ، ويسجل مجموعة ظواهر تحكم الموقف العام للمجتمعات من دعوات الانبياء وتختلف درجتها ونوعها باختلاف المجتمعات وأوضاعها وأزماتها .. والتي تتسم عادة برفض دعوات الأنبياء وموقف الرفض يظهر ويتجلّى بأشكال وحالات تمثل ظاهرة عامة في رفض هذه الدعوات وهي: الاستهزاء ، التشكيك ، الغفلة ، والتعنت.

الهدف من بعثة الانبياء

ان محور الاساسي من بعثة الانبياء والرسل (عليم السلام) كما يصرح في القران هو اقامة العدل كما جاء في الايات الكريمة :

١. قوله تعالى **(لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَأَنْزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ وَأَنْزَلْنَا الْحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ وَمَنَافِعُ لِلنَّاسِ وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ مَنْ يَنْصُرُهُ وَرُسُلَهُ بِالْغَيْبِ إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ)** [١] .
(فإنّ الأنبياء كانوا مسلّحين بثلاث وسائل و هي: «الدلائل الواضحة»، و «الكتب السماوية»، و «معيار قياس الحقّ من الباطل» و الجيّد من الرديء. و لا يوجد مانع من أن يكون القرآن (بيّنة) أي معجزة، و هو كذلك كتاب سماوي و مبيّن للأحكام و القوانين، أي أنّ الأبعاد الثلاثة تصبّ في محتوى واحد و هي موجودة في القرآن الكريم. وعلى كلّ حال، فإنّ الهدف من تعبئة هؤلاء الرجال العظام بهذه الأسلحة الأساسية، هو إقامة القسط و العدل[٢].
فان الله أرسل الأنبياء والرسل بالحجج الدالة على نبوتهم و رسالتهم، و بما يهدي الناس الى الحق و العدل ليستقيموا على صراطه القويم ، والعدل هو المحور الاساس للدعوات النبوية .

٢. قوله تعالى : **(إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ ..)** [٣]
(أي الإنصاف بين الخلق و التعامل بالاعتدال الذي ليس فيه ميل و لا عوج «وَ الْإِحْسانِ» إلى الناس و هو التفضل و لفظ الإحسان جامع لكل خير و الأغلب عليه استعماله في التبرع بإيتاء المال و بذل السعي الجميل و

---

[١] سورة الحديد الاية ٢٥ .

[٢] مكارم الشيرازي ، ناصر ، الامثل في تفسير الكتاب الله المنزل ، ج ١٨ ، ص ٧١ .

[٣] سورة النحل الاية ٩٠ .

قيل العدل التوحيد و الإحسان أداء الفرائض عن ابن عباس و عطاء و قيل العدل في الأفعال و الإحسان في الأقوال فلا يفعل إلا ما هو عدل و لا يقول إلا ما هو حسن و قيل العدل أن ينصف و ينتصف و الإحسان أن ينصف و لا ينتصف) [4] .

لذا يحتاج المجتمع إلى قانون يحدد أبعاد العدالة، و حقوق الطبقات المختلفة، حسب مساعيهم و حاجاتهم و حاجة الناس إليهم، و مما يجعل للعدالة معان مختلفة حسب القوانين و الأعراف.

و لكن الناس قد يختلف في تطبيق العدالة، فنحتاج إلى القضاء الذي لا يرضى عنه كل الخصماء، والإحسان من ضرورات العدل ، ولذا يأمر القرآن بالإحسان، الذي هو التنازل عن بعض الحقوق للآخرين .

وقد ركّز القرآن الكريم كثيراً على أهمية تطبيق العدالة في المجتمع، وبالرغم من أن القرآن الكريم قد أشار إلى مختلف أنواع العدالة ، وجاء العدل في جميع مجالات الحياة في الأقوال والافعال ، فالعدل هو القانون في الحياة

(فالعدل هو القانون الذي تدور حول محوره جميع أنظمة الوجود، وحتى السماوات والأرض فهي قائمة على أساس العدل بالعدل قامت السماوات والارض) [5] .

ظواهر مواجهة دعوات الانبياء (عليهم السلام) ومواقفهم منها

أولاً : السخرية والاستهزاء

وردت لفظتي السخرية والاستهزاء في السياق القرآني في الآيات التالية :

١. قوله تعالى : **(يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا يَسْخَرْ قَوْمٌ مِنْ قَوْمٍ عَسَى أَنْ يَكُونُوا خَيْراً مِنْهُمْ وَلَا نِسَاءٌ مِنْ نِسَاءٍ عَسَى أَنْ يَكُنَّ خَيْراً مِنْهُنَّ وَلَا تَلْمِزُوا أَنْفُسَكُمْ وَلَا تَنَابَزُوا بِالْأَلْقَابِ)**[6] .

فإنّ السخرية الاستهزاء وهو ذكر ما يستحقر ويستهان به الإنسان بقول أو إشارة أو فعل تقليداً بحيث يضحك منه بالطبع[7].

(كلّ إنسان في المجتمع له أحترام وكرامة ومشاعر ، حرم الإسلام انتهاكها وحرم السخرية من خلال الشعور بالتفوق على الناس ببعض الصفات أو الافعال ..)[8].

٢. قوله تعالى : **(قُلْ أَ بِاللهِ وءَايَتِهِ ورَسُولِهِ كُنتُمْ تَسْتَهزِءُون)**[9] ، أي (إنّه يسألهم: هل يمكن المزاح والسخرية حتى بالله ورسوله وآيات القرآن)[10].

٣. قوله تعالى : (**زُيِّنَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا وَيَسْخَرُون من الذين امنوا)**[11] ، أي (ويهزءون من المؤمنين لفقرهم)[12].

٤. قوله تعالى : **(الَّذِينَ يَلْمِزُونَ الْمُطَّوِّعِينَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ فِي الصَّدَقَاتِ وَالَّذِينَ لا يَجِدُونَ إِلَّا جُهْدَهُمْ فَيَسْخَرُونَ مِنْهُمْ سَخِرَ اللهُ مِنْهُمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ)**[13] ، أي (الذين يعيبون الذين يتطوعون بالصدقات من المؤمنين الموسورين والذين لا يجدون من المال إلّا جهد أنفسهم من الفقراء المعسرين فيعيبون المتصدقين موسرهم ومعسرهم وغنيهم وفقيرهم ويسخرون منهم سخر الله منهم ولهم عذاب أليم)[14].

---

[4] الطبرسي ، فضل بن الحسن ، مجمع البيان في تفسير القران ، ج٦ ، ص ٥٨٦ .

[5] مكارم الشيرازي ، ناصر ، الامثل في تفسير الكتاب المنزل ، ج٨ ، ص ٢٩٧ .

[6] سورة الحجرات الآية ١١.

[7] الطباطبائي ، محمد حسين ، الميزان في تفسير القرآن : ج١٨ ، ص ٣٢١ .

[8] انظر: فضل الله ، محمد حسين ، تفسير من وحي القرآن : ج٢١ ، ص ١٤٩ .

[9] سورة التوبة الآية ٦٥.

[10] مكارم الشيرازي ، ناصر ، الامثل في تفسير الكتاب المنزل ، ج٦ ، ص ١١٠ .

[11] سورة البقرة الآية ٢١٢ .

[12] الطبرسي ، الفضل بن الحسن ، مجمع البيان : ج٢ ، ٥٤٢ .

[13] سورة التوبة الآية ٧٩ .

[14] الطباطبائي ، محمد حسين ، الميزان في تفسير القرآن : ج٩ ، ص ٣٥١ .

دوافع الاستهزاء والسخرية :

الدافع الأوّل : الاستعلاء

أحد جذور استعلاء الأفراد هو أن يرى الإنسان نفسه أو قومه أو محتده وعشيرته أفضل من الآخرين ، وأن منشأ الإستهزاء والسخرية هو حسّ الإستعلاء والتكبّر والغرور .

قوله تعالى : **(يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُواْ لا يَسْخَرْ قَوْمٌ مِّن قَوْمٍ عَسَىَ أَن يَكُونُواْ خَيْرًا مِّنْهُمْ ولا نِسَاءٌ مِّن نِّسَاءٍ عَسَىَ أَن يَكُنَّ خَيْراً مِّنْهُنَّ ولا تَلْمِزُواْ أَنفُسَكُمْ ولا تَنَابَزُواْ بِالأَلْقَابِ)**[١٥] ، أي (أنّ أساس السخرية والاستهزاء هوالإحساس بالاستعلاء والغرور والكبر وأمثال ذلك إذ كانت تبعث على كثير من الحروب الدامية على امتداد التاريخ)[١٦].

الدافع الثاني : التعلق بالامور الدنيوية

يبيّن القرآن الكريم أنّ تعلق الكفار بالدنيا وزينتها هو أحد عوامل الاستهزاء والسخرية من المؤمنين.

قوله تعالى : **(زُيِّنَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا وَيَسْخَرُونَ مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ اتَّقَوْا فَوْقَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَاللهُ يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ)**[١٧] ، أي (فإن الحياة الدنيا إذا زينت لإنسان دعته إلى هوى النفس وشهواتها ، وأنست كلّ حق وحقيقة ، فلا يريد الإنسان إلا نيلها : من جاه ومقام ومال وزينة ، فلا يلبث دون أن يستخدم كلّ شيء لأجلها وفي سبيلها ، ومن ذلك الدين فيأخذ الدين وسيلة يتوسل بها إلى التميزات والتعينات ، فينقلب الدين إلى تميز الزعماء والرؤساء وما يلائم سوددهم ورئاستهم ، وتقرب التبعة والمقلدة المرءوسين وما يجلب به تمايل رؤسائهم وساداتهم كما نشاهده في أمتنا اليوم وبني أسرائيل من قبل)[١٨].

الدافع الثالث : الذنوب

من أسباب الاستهزاء والسخرية هو ارتكاب الذنوب التي تبعد الإنسان عن القيم والمبادئ لذا يواجه آيات القرآن بالاستهزاء والسخرية ، كما في قوله تعالى : **(ثُمَّ كَانَ عَاقِبَةَ الَّذِينَ أَسَاءُوا السُّوأَى أَنْ كَذَّبُوا بِآيات الله وَكَانُوا بِهَا يَسْتَهْزِئُونَ)**[١٩] ، أي (ثم كان عاقبة الذين عملوا الأعمال السيئة التي كان ينهاهم عنها الرسول ، أنّ أمرهم انتهى إلى التكذيب والاستهزاء)[٢٠].

موقف القرآن الكريم من الأستهزاء :

يسجل القرآن الكريم موقف الاستهزاء من قبل الأمم للرسل والأنبياء وبمراجعة سريعة في القرآن الكريم فسوف نجد أن هناك ظاهرة اجتماعية اشتركت فيها جميع الأمم ألا وهي رفضهم للدعوات الإلهية في المجتمعات .

كما في قوله تعالى : **(يَا حَسْرَةً عَلَى الْعِبَادِ مَا يَأْتِيهِمْ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ)**[٢١] ، أي (هذا بيان وتفسير للسبب الموجب للحسرة ، وهو إصرار المشركين على تكذيب الرسل ، واتخاذهم سخرياً وهزواً)[٢٢].

وقوله تعالى : **(وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ إِنَّ اللهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تَذْبَحُوا بَقَرَةً قَالُوا أَتَتَّخِذُنَا هُزُواً قَالَ أَعُوذُ بِاللهِ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْجَاهِلِينَ)**[٢٣] ، أي (هم يسألون عن أمر القتيل والنبي (عليه السلام) يأمرهم بذبح بقرة فكان جوابهم (أتتخذنا سخرية ، يعني أتسخر بنا يا موسى)[٢٤].

---

[١٥] سورة الحجرات الآية ١١ .

[١٦] مكارم الشيرازي ، ناصر ، الامثل في تفسير الكتاب المنزل ، ج١٦ ، ص ٥٤٦ .

[١٧] سورة البقرة الآية ٢١٢

[١٨] الطباطبائي ، محمد حسين ، الميزان في تفسير القرآن : ج٢ ، ص ١١١ .

[١٩] سورة الروم الآية ١٠ .

[٢٠] فضل الله ، محمد حسين ، تفسير من وحي القرآن : ج١٨ ، ص١٠٩ .

[٢١] سورة يس الآية ٣٠ .

[٢٢] مغنية ، محمد جواد ، تفسير الكاشف : ج ٦ ، ص ٣١٢ .

[٢٣] سورة البقرة الآية ٦٧.

وقوله تعالى : **(فَلَمَّا جَاءَتْهُمْ رُسُلُهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ فَرِحُوا بِمَا عِنْدَهُمْ مِنَ الْعِلْمِ وَحَاقَ بِهِمْ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ)**[٢٥] ، أي (حلّ بهم ونزل بهم جزاء استهزائهم برسلهم من العذاب والهلاك)[٢٦].

وقوله تعالى : **(وَمَا نُرْسِلُ الْمُرْسَلِينَ إِلَّا مُبَشِّرِينَ وَمُنْذِرِينَ وَيُجَادِلُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِالْبَاطِلِ لِيُدْحِضُوا بِهِ الْحَقَّ وَاتَّخَذُوا آيَاتِي وَمَا أُنْذِرُوا هُزُوًا)**[٢٧] ، أي (سخرية يسخرون منه)[٢٨].

ونلاحظ أنّ الآيات التي تتحدث عن ظاهرة استهزاء الأمم بأنبياء الله ورسله ، تشير إلى أن مثل هذه المجتمعات تمرّ بحالة ركود فكري وخمول ثقافي وتسالم عقائدي يتسم بتقديس للموروث وتقليد أجوف غير مبني على أسس قابلة للحوار ، وترديد لشعارات ومفاهيم اعتاد عليها المجتمع باعتبار ما أعطته من زخم في حركة المجتمع ونموه ووصوله إلى ما هم عليه بما يجعلهم يعتبرونها كإرث من آبائهم وأجدادهم فهي مقدسة لارتباطها بالآباء وهي محترمة ولا يجوز النقاش فيها لأنّها أثبتت صلاحيتها في زمن الآباء فهي مجربة من جهة وصاحبة فضل عليهم من جهة أخرى ، والتحول إلى فكرة جديدة ودعوة مستحدثة فيها فهي رفض للموروث المقدس واستهانه واستهزاء به وأكد تاريخ الآباء صحته وفاعليته ونجاحه ، وإنّ الدعوات غير مجربة ولا تمتلك دلائل صحيحة فهي لا أصل له وغير مجرب.

ثانياً : التشكيك بنبوة الانبياء :

ومن صورالتشكيك التي واجهة الأنبياء والرسل ، يتطرق القرآن الكريم الى هذه الصور كالتشكيك بالبشرية والجنون والكذب :

١. البشرية : انّه بشر مثلكم

في قوله تعالى : **(وَقَالَ الْمَلَأُ مِنْ قَوْمِهِ الَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِلِقَاءِ الْآخِرَةِ وَأَتْرَفْنَاهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا مَا هَذَا إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ يَأْكُلُ مِمَّا تَأْكُلُونَ مِنْهُ وَيَشْرَبُ مِمَّا تَشْرَبُونَ)**[٢٩] ، أي قالوا : (بعث الله صالحاً إلينا رسولاً من بيننا ، وخصه بالرسالة دوننا ، وهو إنسان مثلنا يأكل ممّا نأكل منه من الطعام ويشرب ممّا نشرب ، وكيف لم يرسل ملكاً من عنده يبلغنا رسالته؟)[٣٠].

وقوله تعالى : **(فَقَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَوْمِهِ مَا هَذَا إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ يُرِيدُ أَنْ يَتَفَضَّلَ عَلَيْكُمْ وَلَوْ شَاءَ اللهُ لَأَنْزَلَ مَلَائِكَةً مَا سَمِعْنَا بِهَذَا فِي آبَائِنَا الْأَوَّلِينَ)**[٣١] ، أي قال بعضهم لبعض : (ليس نوح هذا إلّا مخلوقاً مثلكم ، وبشر مثلكم ، وليس بملك **(يُرِيدُ أَنْ يَتَفَضَّلَ عَلَيْكُمْ)** فيسودكم ويترأسكم وأن يكون أفضل منكم **(وَلَوْ شاءَ اللهُ)** ما قاله من توحيده واختصاصه بالعبادة **(لَأَنْزَلَ مَلائِكَةً)** عليكم يدعونكم إلى ذلك. ثم قالوا **(ما سَمِعْنا بِهذا)** يعنى بما قال نوح ، وبمثل دعوته. وقيل بمثله بشراً أتى برسالة من ربه في أسلافنا الماضين وآبائنا وأجدادنا الذين تقدمونا)[٣٢].

وقوله تعالى : **(وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَنْ يُكَلِّمَهُ اللهُ إِلَّا وَحْياً أو مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ أو يُرْسِلَ رَسُولاً فَيُوحِيَ بِإِذْنِهِ مَا يَشَاءُ إِنَّهُ عَلِيٌّ حَكِيمٌ)**[٣٣] ، الآية (نزلت بسبب خوض كان للكفار في معنى تكليم الله موسى ونحو ذلك ، ذهبت قريش واليهود في ذلك إلى تجسيم ونحوه ، فنزلت الآية مبينة صورة تكليم الله عباده كيف هو ، فبين الله أنّه

---

[٢٤] السمرقندي ، أبو الليث نصر بن محمد ، بحر العلوم : ج١ ، ص٦٢ .

[٢٥] سورة غافر الآية ٨٣ .

[٢٦] الطبرسي ، الفضل بن الحسن ، مجمع البيان : ج ٨ ، ص ٨٣٢ .

[٢٧] سورة الكهف الآية ٥٦ .

[٢٨] الطوسي ، محمد بن الحسن ، التبيان في تفسير القرآن : ج ٧ ، ص ٦٢ .

[٢٩] سورة المؤمنون الآية ٣٣ .

[٣٠] الطبري ، محمد بن جرير ، جامع البيان عن تأويل آي القرآن : ج١٨ ، ص١٥ .

[٣١] سورة المؤمنون الآية ٢٤ .

[٣٢] الطوسي ، محمد بن الحسن ، التبيان في تفسير القرآن : ج٧ ، ص ٣٦١ .

[٣٣] سورة الشورى الآية ٥١ .

لا يكون لأحد من الأنبياء ولا ينبغي له ولا يمكن فيه أن يكلمه الله إلّا بأن يوحي إليه أحد وجوه الوحي من الإلهام)[٣٤].

وهذا الإشكال ، قد تكرر طرحه في مقابل دعوة الأنبياء ، وزيادة في التأكيد فإنّ هذا المدعى الغريب ، قضية نزول الملائكة عليه دون الآخرين بأمر دون بقية الخلق ، وبشكل مخفي.

٢. تهمة الجنون :

قوله تعالى : **(إِنْ هُوَ إِلَّا رَجُلٌ بِهِ جِنَّةٌ فَتَرَبَّصُوا بِهِ حَتَّى حِينٍ)**[٣٥] ، أي (لأنّ الذي يدّعي هذا الادّعاء ، ويدعو إلى التوحيد ورفض عبادة الأصنام ، لا بدّ من أن يكون به مسّ من جنون ، لأنّه يتحدى الناس كلّهم في عقيدتهم وسلوكهم ، ويزعم لنفسه الاتصال بالله بشكل مباشر أو غير مباشر ، **(فَتَرَبَّصُوا بِهِ)** أي أمهلوه واصبروا عليه حتى ينكشف أمره ، **(حَتَّى حِينٍ)** كي يرجع عن ذلك الجنون وإلّا قتلتموه)[٣٦].

٣. تهمة الكذب :

التعرض لتهمة الكذب بالرغم من البينات والدلائل الواضحة والحجج..

كما في قوله تعالى : **(فَإِنْ كَذَّبُوكَ فَقَدْ كُذِّبَ رُسُلٌ مِنْ قَبْلِكَ جَاءُوا بِالْبَيِّنَاتِ وَالزُّبُرِ وَالْكِتَابِ الْمُنِيرِ)**[٣٧] ، أي (وفيها تسلية للنبي (صلى الله عليه وآله) عمّا كان يصيبه من الأذى من اليهود وأهل الشرك بتكذيبهم إياه ، بأن قال فقد كذب أسلافهم من رسل الله من جاءهم بالبينات والحجج القاطعة ، والأدلة الواضحة. والزبر جمع زبور وهو البينات وكلّ كتاب فيه حكمة فهو زبور)[٣٨].

وقوله تعالى : **(وَعَجِبُوا أَنْ جَاءَهُمْ مُنْذِرٌ مِنْهُمْ وَقَالَ الْكَافِرُونَ هَذَا سَاحِرٌ كَذَّابٌ)**[٣٩] ، أي (جاءهم رسول من أنفسهم يحذرهم المعاصي وينذرهم النار ، حين يزعم أنّه رسول الله ، وأنّه أبطل عبادة ما كانوا يعبدونه من الآلهة مع الله ، ودعاهم إلى عبادة الله وحده فتعجبوا من ذلك وقالوا كيف جعل لنا إلهاً واحداً بعد ما كنا نعبد آلهة «إنّ هذا» الذي يقوله محمد من أن الإله واحد «لَشَيْءٌ عُجابٌ» لأمر عجيب مفرط في العجب)[٤١].

هذا إشكال على شخصيته ، أمّا على رسالته ودعوته فالموقف يتوزع بين رفضها لأنّها مخالفة لإرث الآباء ، أو لأنّها دعوة حديثة لا أصل لها ، أو إنّها قديمة وغير منطقية.

ثالثاً : الغفلة :

يسجل القرآن الكريم في وصفه لظاهرة تكذيب الأمم لدعوات الانبياء ، إنّ المجتمعات التي تواجه الأنبياء تعيش حالة من الغفلة .

كما في قوله تعالى : **(وَأَنْذِرْهُمْ يَوْمَ الْحَسْرَةِ إِذْ قُضِيَ الْأَمْرُ وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ وَهُمْ لا يُؤْمِنُونَ)**[٤٢] ، أي (إنّهم مشغولون اليوم بما لا يعنيهم غافلون عن أحوال الآخر)[٤٣].

وقوله تعالى : **(اقْتَرَبَ لِلنَّاسِ حِسَابُهُمْ وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ مُعْرِضُونَ)**[٤٤] ، أي اقترب يوم القيامة وهم غافلون عن الحساب ساهون لايتفكرون في عاقبتهم[٤٥].

---

[٣٤] ابن عطية الأندلسي ، عبد الحق بن غالب ، المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز : ج٥ ، ص٤٣ .

[٣٥] سورة المؤمنون الآية ٢٥ .

[٣٦] فضل الله ، محمد حسين ، تفسير من وحي القرآن : ج١٦ ، ص ١٤٧ .

[٣٧] سورة آل عمران الآية ١٨٤ .

[٣٨] الطوسي ، محمد بن الحسن ، التبيان في تفسير القرآن : ج ٣ ، ص ٦٩ .

[٣٩] سورة ص الآية ٤ .

[٤١] الطبرسي ، الفضل بن الحسن ، مجمع البيان : ج٨ ، ص ٧٢٦ .

[٤٢] سورة مريم الآية ٣٩ .

[٤٣] الطبرسي ، الفضل بن الحسن ، مجمع البيان : ج٦ ، ص ٧٩٦ .

[٤٤] سورة الأنبياء الآية ١ .

[٤٥] انظر: الطبرسي ، الفضل بن الحسن ، مجمع البيان : ج٣ ، ص٢ .

وقوله تعالى : **(وَدَخَلَ الْمَدِينَةَ عَلَى حِينِ غَفْلَةٍ مِنْ أَهْلِهَا)**[٤٦] ، أي (وذلك عندما يستريح الناس ويدخلون إلى بيوتهم ليسكنوا إلى أنفسهم وأهاليهم ، فتخلو الشوارع والأزقة من المارّة وذلك في وقت الظهيرة ، أو وقت دخول الليل)[٤٧].

أسباب الغفلة:

ومن أعظم أسباب الغفلة هو إيثار الحياة الدنيا على الآخرة ..

كما في قوله تعالى: **(بَلْ تُؤْثِرُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا . وَالْآخِرَةُ خَيْرٌ وَأَبْقَى)**[٤٨].

وجاء من ضعف الإيمان ، وحب الدنيا من أسباب الغفلة ، لأنّها تعمي وتصم عن اتباع طريق الحق ، وقال الإمام علي (عليه السلام) : (فارفض الدنيا فإنّ حب الدنيا يعمي ويصم ويبكم ويذل الرقاب)[٤٩].

واتباع الشهوات التي تؤثر على سلوك الإنسان وتقوي لديه الجانب المادي وتضعف التوجيهات المعنوية لديه ، وقال الإمام علي (عليه السلام) : (ليس في المعاصي أشدّ من اتباع الشهوة فلا تطيعوها ، فيشغلكم عن ذكر الله) ، وقال الرسول الأكرم (صلى الله عليه وآله) : (إياكم وفضول النظر فإنّه يبذر الهوى ويولد الغفلة)[٥٠].

آثار الغفلة :

١. **العذاب الالهي :**

في قوله تعالى : **(إِنَّ الَّذِينَ لا يَرْجُونَ لِقَاءنَا وَرَضُواْ بِالْحَياةِ الدُّنْيَا وَاطْمَأَنُّواْ بِهَا وَالَّذِينَ هُمْ عَنْ آياتنَا غَافِلُونَ . أُوْلَئِكَ مَأْوَاهُمُ النَّارُ بِمَا كَانُواْ يَكْسِبُونَ)**[٥١] ، أي (فإنّ الغفلة عن الآيات الإلهية هي أساس البعد عن الله سبحانه ، والابتعاد عن الله هو العلّة لعدم الإحساس بالمسؤولية والتلوّث بالظلم والفساد والمعصية ، وعاقبة ذلك لا تكون إلّا النّار)[٥٢].

٢. **قساوة القلب :**

فعن الإمام الصادق (عليه السلام) : (وإيّاك والغفلة ففيها تكون قساوة القلب)[٥٣].

وقاله (عليه السلام) : (من غلبت عليه الغفلة مات قلبه)[٥٤].

٣. **فساد الأعمال :**

فعن أمير المؤمنين (عليه السلام) : (إيّاك والغفلة ، والاغترار بالمهلة ، فإنّ الغفلة تفسد الأعمال ، والآجال تقطع الآمال)[٥٥].

٤. **رأس كلّ بليّة:**

قال الإمام الصادق (عليه السلام) : (الغفلة مصطاد الشيطان ، ورأس كلّ بليّة ، وسبب كلّ حجاب)[٥٦].

٥. **عمى البصيرة :**

قال الإمام علي (عليه السلام) : (دوام الغفلة يعمي البصيرة)[٥٧].

---

[٤٦] سورة القصص الآية ١٥ .

[٤٧] فضل الله ، محمد حسين ، تفسير من وحي القرآن : ج١٧ ، ص ٢٧٥ .

[٤٨] سورة الأعلى الآية ١٥ و١٦ .

[٤٩] الكليني ، محمد بن يعقوب ، الأصول من الكافي : ج٢ ، ص ١٣٦ .

[٥٠] الشوكاني ، محمد بن علي ، نيل الأوطار من أحاديث سيد الأخيار : ج٦ ، ص ٢٤٢ .

[٥١] سورة يونس الآية ٧ و٨ .

[٥٢] مكارم الشيرازي ، ناصر ، الامثل في تفسير الكتاب المنزل ، ج ٦ ، ص ٣٠٦ .

[٥٣] النوري الطبرسي ، حسين بن محمد تقي ، مستدرك الوسائل : ج١٢ ، ص ٩٣ .

[٥٤] سعادت برور ، علي ، سر الأسرار في شرح حديث المعراج : ج١ ، ص ٣٦١ . نقلاً عن غرر الحكم .

[٥٥] الليثي الواسطي ، علي بن محمد ، عيون الحكم والمواعظ : ص ٩٩ .

[٥٦] الفيض الكاشاني ، محمد محسن بن مرتضى ، المحجة البيضاء في تهذيب الإحياء : ج٤ ، ص ٤ .

٦. تسلّط الشيطان :

إنّ التغافل عن ذكر الله يفضي إلى تسلّط الشيطان على الإنسان .

كما في قوله تعالى : **(وَمَنْ يَعْشُ عَنْ ذِكْرِ الرَّحْمَنِ نُقَيِّضْ لَهُ شَيْطَاناً فَهُوَ لَهُ قَرِينٌ)**[٥٨] .

دور الأنبياء في مواجهة الغفلة :

يأتي دور الأنبياء في مواجهة الغفلة ، من خلال حثّ الناس إلى طريق الهداية في المجتمع ، لأنّهم يمثلون قادة المجتمع إلى الخير والسعادة ، وقد بيّن الأنبياء خطورة الغفلة ، والعمل على أزالتها ، لأنّها سبب ضلال وانحراف المجتمعات وفسادها ، والقرآن الكريم له الموقف الواضح من هذا الخطر.

ودور الأنبياء في مواجهة الغفلة يتمثل بالذكر والتحذير واليقضة ، فالتحذير في قوله تعالى : **(اقْتَرَبَ لِلنَّاسِ حِسَابُهُمْ وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ مُعْرِضُونَ مَا يَأْتِيهِمْ مِنْ ذِكْرٍ مِنْ رَبِّهِمْ مُحْدَثٍ إِلَّا اسْتَمَعُوهُ وَهُمْ يَلْعَبُونَ لَاهِيَةً قُلُوبُهُم ..)**[٥٩] .

إذن التحذير ورد في الآيات: **(فِي غَفْلَةٍ ، وَهُمْ يَلْعَبُونَ ، لَاهِيَةً قُلُوبُهم)**.

واليقظة تتمثل اليقظة من الغفلة وذلك بالاهتمام بإيمان الناس بالخالق ، والتفكر في خلق السموات والأرض ، والصبر على طاعة الله ، كما في قوله تعالى : **(وَالْعَصْرِ . إِنَّ الْإِنسان لَفِي خُسْرٍ . إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ)**[٦٠] .

أتبع النبي صالح (عليه السلام) أسلوب التذكير مع قومه للخروج من الغفلة :

تذكيرهم بما أنعم الله عليه من النعم ، من التمكين في الأرض ، وبناء القصور حيث كانت لهم قصور في السهول خاصة لفصل الصيف وفي الجبال خاصة لفصل الشتاء تقيهم من البرد والعواصف والأمطار .. وكذلك تذكيرهم بأصل خلقتهم واستعمارهم الأرض كبقية الأمم السابقة ، كما جاء في قوله تعالى : **(وَاذْكُرُوا إِذْ جَعَلَكُمْ خُلَفَاءَ مِنْ بَعْدِ عَادٍ وَبَوَّأَكُمْ فِي الأرض تَتَّخِذُونَ مِنْ سُهُولِهَا قُصُوراً وَتَنْحِتُونَ الْجِبَالَ بُيُوتاً فَاذْكُرُوا آلاءَ الله وَلَا تَعْثَوْا فِي الأرض مُفْسِدِينَ)**[٦١] .

ومن الأمور المساعدة على الذكر واليقظة :

١. معرفة هدف خلق الإنسان : إنّ معرفة الهدف والغاية من خلق الإنسان ، سوف يبعث النور في طريقه ويؤدي إلى اليقظة وطرد الغفلة.

وأشار القران الكريم في قوله تعالى : **(يُدَبِّرُ الْأَمْرَ يُفَصِّلُ الْآيات لَعَلَّكُمْ بِلِقَاءِ رَبِّكُمْ تُوقِنُونَ)**[٦٢] ، أي (بالجزاء وبأن هذا المدبر والمفصل لا بدّ لكم من الرجوع إليه)[٦٣] .

٢. ذكر الموت : قال الإمام الصادق(عليه السلام) : (ذكر الموت يميت الشهوات في النفس ، ويقلع منابت الغفلة ، ويقوي القلب بمواعد الله ، ويرقّ الطّبعَ ، ويكسر أعلام الهوى ، ويطفئ نار الحرص ، ويحقّر الدنيا)[٦٤] .

٣. مجالسة الصلحاء : ممن يذكر الناس بالخير والعمل الصالح ، فقد سئل الرسول الأكرم (صلى الله عليه وآله): أي الجلساء خير ؟ فقال (صلى الله عليه وآله) : (من تذكّركم الله رؤيته ، ويزيد في علمكم منطقه ، ويرغبكم في الآخرة عمله)[٦٥] .

---

[٥٧] الليثي الواسطي ، علي بن محمد ، عيون الحكم والمواعظ : ص ٢٥٠ .

[٥٨] سورة الزخرف الآية ٣٦ .

[٥٩] سورة الأنبياء الآية ١- ٣ .

[٦٠] سورة العصر الآية ١ - ٣ .

[٦١] سور الأعراف الآية ٧٤ .

[٦٢] سورة الرعد الآية ٢ .

[٦٣] الزمخشري ، محمود بن عمر ، الكشاف : ج٢ ، ص ٥١٢ .

[٦٤] الإمام الصادق (ع) ، جعفر بن محمد (منسوب) ، مصباح الشريعة ومفتاح الحقيقة : ص ١٧١ .

[٦٥] المتقي الهندي ، علاء الدين علي ، كنز العمال في سنن الأقوال والأفعال : ج٩ ، ص ١٧٨ .

رابعاً: العناد :

إنّ العناد من قبل المعاندين ضد دعوات الانبياء يمكن أن يكون له أسباب مختلفة ، منها: سياسية واجتماعية واقتصادية وثقافية ، ولابدّ أنّ نلتفت إلى أنّ استخدام المعاندون مختلف الوسائل والطرق التخريبية سواء كانت إعلامية أو عسكرية .

وإنّ هذا الوقوف بوجه حركة الانبياء في المجتمع هو نتيجة رود أفعال في قبال الفهم الخاطيء لهدف الانبياء والرسل(عليهم السلام) ، أو الأسلوب الخاطيء في الترويج والتبليغ .

وفيما يلي نتعرض إلى الأسباب الأربعة لهذا الأمر بنظرة خاصة إلى الدين الإسلامي باعتباره اشمل وأكمل الأديان الالهية:

١. السياسية :

إنّ التجارب الخاطئة لبعض الحكومات المحسوبة على الحالة الدينية على مدى التاريخ ، ومنها القرون الوسطى المسيحية في العلم المسيحي ، وعهد الحكام في الدول الأموية والعباسية والعثمانية .. وما صاحبها من النزاعات والحروب المذهبية والطائفية .. قد تحولت بأيدي الأعداء والحاقدين لكي يقوموا بعرض الدين كاطروحة فاشلة على المستوى السياسي والاجتماعي ، وإن الدين وخصوصاً الإسلام بعيد كلّ البعد من مسألة بناء الإنسان والمجتمع .

وقوله تعالى : **(وَذَرِ الَّذِينَ اتَّخَذُوا دِينَهُمْ لَعِباً وَلَهْواً وَغَرَّتْهُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا)**[٦٦].

(أي لم ينفتحوا في الحياة على الرسالة الشاملة التي تنظر إلى الحياة بجدّية و مسئولية تؤكّد على الالتزام، بل اعتبروا دينهم الذي يمثل خطّ سيرهم هو في الانطلاق مع اللّعب و اللّهو، في جميع علاقاتهم و انتماءاتهم و معاملاتهم و أوضاعهم الخاصة و العامة ..)[٦٧]

٢. الاجتماعية :

إنّ التوسع الذي حدث في المجتمعات المدنية قد أوجد حياة مجتمعية جديدة في قبال الجنة الطبيعية ، التي ورد وصفها في القرآن الكريم ، واشار القران الى ذلك : **(وَهُوَ الَّذِي أَنْشَأَ جَنَّاتٍ مَعْرُوشَاتٍ وَغَيْرَ مَعْرُوشَاتٍ وَالنَّخْلَ وَالزَّرْعَ مُخْتَلِفاً أُكُلُهُ وَالزَّيْتُونَ وَالرُّمَّانَ مُتَشَابِهاً وَغَيْرَ مُتَشَابِهٍ كُلُوا مِنْ ثَمَرِهِ إِذَا أَثْمَرَ وَآتُوا حَقَّهُ يَوْمَ حَصَادِهِ وَلَا تُسْرِفُوا إِنَّه لا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ)**[٦٨].

وقوله تعالى : **(إِنَّ اللهَ يُدْخِلُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِنْ ذَهَبٍ وَلُؤْلُؤاً وَلِبَاسُهُمْ فِيهَا حَرِيرٌ)**[٦٩].

وقد بقي هذا التقابل قائماً رغم كلّ الجهود الفكرية للمثقفين الإسلاميين على مستوى التوفيق بين الإسلام والحداثة .

إنّ اخفاق المثقفين المسلمين في رفع هذا التقابل يعود إلى أنّهم في الغالب ينظرون إلى الإسلام من اطار الحداثة ، أي التسليم إلى حقيقة الحداثة ، ومن ثم يحاولون تطبيق تعاليم الإسلام ، وقد تسبب هذا إلى اعادة النظر والعدول عن الإسلام ، وعدم الانسجام في السلوك في المجتمعات التي تحاول الحفاظ على مظاهر الإسلام مع التلبس بروح الحداثة ، وهذا أدى إلى نتيجة أن الدين الإسلامي لا ينفع المجتمعات المعاصرة .

٣. الاقتصادية :

إن وجود منابع النفط في الدول الاسلامية لم يصبح سبباً للتقدم ، بل إنّه صار سبباً في اعتماد المسلمين اقتصادياً على الدول الغربية ، ومع شيوع ثقافة الاستهلاك والاقتصاد القائم على أساس الاستهلاك في المجتمع.

فحين يستذوق المسلمون طعم المنتجات والتكنلوجيا الغربية فإنّهم سوف يستنتجون بالتدريج أنّ هذا النوع من الاقتصاد لا ينسجم مع الإسلام ، ولذلك فهم أمّا أن يتركوا هذا النوع من الاقتصاد ويحاولون التحرك نحو الاقتصاد القائم على أساس الانتاج ، وإمّا أن يريحوا أنفسهم ويتركوا الإسلام وكلّ قضية تدعوا إلى التطور ويخضعوا بشكل تام لسيطرة الغرب والاعتماد عليهم ، فالاعتماد عليهم جريمة وتستحق العقاب . .

---

[٦٦] سورة الأنعام الآية ٧٠ .

[٦٧] فضل الله ، محمد حسين ، من وحي القران ، ج ٩ ، ص ١٥٨.

[٦٨] سورة الأنعام الآية ١٤١ .

[٦٩] سورة الحج الآية ٢٢ .

واشارت الايات في قوله تعالى : **(يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَتَّخِذُوا الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ أَتُرِيدُونَ أَنْ تَجْعَلُوا لله عَلَيْكُمْ سُلْطَاناً مُبِيناً)**[٧٠] ، أي (أنّ الاعتماد على الكفار يعتبر جريمة وخرقاً صارخاً للقانون الإلهي وشركاً بالله ، ونظراً لقانون العدل الإلهي فإنّ هذه الجريمة تستحق عقاباً شديداً..)[٧١].

وقوله تعالى : **(يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَتَّخِذُوا الْيَهُودَ وَالنَّصَارَى أَوْلِيَاءَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ مِنْكُمْ فَإِنَّهُ مِنْهُمْ إِنَّ الله لا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ)**[٧٢] ، أي (لا تعتمدوا على الاستنصار بهم متوددين إليهم ، والذي يجب على المؤمن معاداة من كفر بالله وبرسوله)[٧٣] .

٤. الثقافية :

يمكن أن نذكر هنا أسبابا ثقافية مختلفة ومنها القراءة السطحية للدين من قبل بعض علماء الدين ، وينتج عن ذلك الدفاع السطحي والمتعصب عن الدين ، والابتعاد بل المعاداة للمعارف الإسلامية الرفيعة من قبل هؤلاء المدعين للدفاع عن الدين ، وقد أدى ذلك إلى فسح المجال أمام الإعلام الغربي لكي تقوم بتعظيم مكانة مثل هؤلاء الأشخاص وإنّهم هم الممثلون الرسميون للإسلام وبذلك تعرض صورة مشوهة غير إنسانية وغير عقلانية عن الإسلام .

وأشار القرآن الكريم إلى ظاهرة التعصب ، بقوله تعالى : **(وَقَالَتِ الْيَهُودُ وَالنَّصَارَى نَحْنُ أَبْنَاءُ الله وَأَحِبَّاؤُهُ قُلْ فَلِمَ يُعَذِّبُكُمْ بِذُنُوبِكُمْ بَلْ أَنْتُمْ بَشَرٌ مِمَّنْ خَلَقَ يَغْفِرُ لِمَنْ يَشَاءُ وَيُعَذِّبُ مَنْ يَشَاءُ وَلله مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَإِلَيْهِ الْمَصِيرُ)**[٧٤] ، أي (يزعم اليهود والنّصارى أنّهم أولياء الله وأحباؤه ، وأنّهم شعب الله المختار ، وأنّهم أقرب النّاس إليه من دون غيرهم ، وأنّ الآخرة لهم وحدهم. والقرآن يطالبهم بالدليل على القرب والبعد ، والتأكيد أنّ الناس كلّهم عبيد لله ولا تفضيل بينه إلّا بالتقوى)[٧٥].

الأنبياء ومواجهة العناد :

العناد عند قوم صالح (عليه السلام)

واجه النبي صالح (عليه السلام) الواناً من العناد :

١. قتل الناقة :

بعد الياس من أستخدام كلّ الوسائل المضادة لدعوات الإصلاح التي قاده النبي صالح ومن تبعه ، لجأوا إلى قتل الناقة التي تمثل معجزة النبي (عليه السلام).

قوله تعالى : **(فَعَقَرُوا النَّاقَةَ وَعَتَوْا عَنْ أَمْرِ رَبِّهِمْ وَقَالُوا يَا صَالِحُ ائْتِنَا بِمَا تَعِدُنَا إِنْ كُنْتَ مِنَ الْمُرْسَلِينَ)**[٧٦] ، أي (عندما يئس الملأ والأغنياء المستكبرون من زعزعة الإيمان في نفوس الجماهير المؤمنة بصالح (عليه السلام) ، ومن جانب آخر رأوا أنّ وساوسهم وشائعاتهم لا تجدي نفعاً مع وجود الناقة التي كانت تعدّ معجزة صالح (عليه السلام) ، لهذا قرّروا قتل الناقة ، مخالفين بذلك أمر ربّهم)[٧٧].

٢. الشكّ في دعوته:

كانوا يعقدون الأمل أن يرجع إلى دين آباهم ..

قوله تعالى: **(قَالُوا يَا صَالِحُ قَدْ كُنْتَ فِينَا مَرْجُوّاً قَبْلَ هَذَا أَتَنْهَانَا أَنْ نَعْبُدَ مَا يَعْبُدُ آبَاؤُنَا وَإِنَّنَا لَفِي شَكٍّ مِمَّا تَدْعُونَا إِلَيْهِ مُرِيبٍ)**[٧٨] ، أي (كنا نرجو أن ترجع إلى ديننا قبل أن تدعونا إلى دين غير دين آبائنا ، **أَتَنْهَانَا أَنْ**

---

[٧٠] سورة النساء الآية ١٤٤ .

[٧١] مكارم الشيرازي ، ناصر، الامثل في تفسير الكتاب المنزل ، ج٣ ، ص ٥٠٣ .

[٧٢] سورة المائدة الآية ٥١ .

[٧٣] ابن إدريس الحلي ، محمد بن أحمد ، المنتخب من تفسير التبيان : ج١ ، ص ٢٣١ .

[٧٤] سورة المائدة الآية ١٨ .

[٧٥] فضل الله ، محمد حسين ، تفسير من وحي القرآن : ج٨ ، ص ١٠٣ .

[٧٦] سورة الأعراف الآية ٧٧ .

[٧٧] مكارم الشيرازي ، ناصر ، الامثل في تفسير الكتاب المنزل ، ج٥ ، ص١٠٢ .

[٧٨] سورة هود الآية ٦٢ .

نَعْبُدَ ما يَعْبُدُ آباؤُنا وإِنَّنا لَفِي شَكٍّ مِمَّا تَدْعُونا إِلَيْهِ مُرِيبٍ ، يعني : يريبنا أمرك ودعاؤك إيانا إلى هذا الد . ومعناه: إنّا مريبون في أمرك)[٧٩].

٣. عدم الاعتبار بمعجزة النبي (عليه السلام):

الناقة آيه واضحة وبينة قوية لدعوة النبي (عليه السلام)..

قوله تعالى : **(وَآتَيْنَاهُمْ آياتنَا فَكَانُوا عَنْهَا مُعْرِضين)**[٨٠] ، أي (بآياتنا والمراد الناقة ، وكان فيها آيات جمة: خروجها من الصخرة ، ودنو نتاجها عند خروجها ، وعظمها حتى لم تشبهها ناقة ، وكثرة لبنها حتى تكفيهم جميعاً . ويحتمل أنّه كان لصالح آيات أخر سوى الناقة ، كالبئر وغيره . ولم يعتبروا)[٨١].

٤. الاتهام بالسحر بالجنون :

قوله تعالى: **(قَالُوا إِنَّمَا أَنْتَ مِنَ الْمُسَحَّرِينَ . مَا أَنْتَ إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُنَا فَأْتِ بِآيَةٍ إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ)**[٨٢] ، أي (فلذلك فقدت عقلك وتتكلم بكلمات غير موزونة ولا معقولة . ثمّ بعد هذا كلّه ما أَنْتَ **إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُنَا** وكل عاقل لا يبيح لنفسه أن يطيع إنساناً مثله **فَأْتِ بِآيَةٍ إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ** لكي نؤمن بك ونتبعك)[٨٣].

٥. التشائم :

يعتقدون أنّ البلاء والمحن جاءت من النبي وأصحابه ..

كما في قوله تعالى : **(قَالُوا اطَّيَّرْنَا بِكَ وَبِمَنْ مَعَكَ)**[٨٤] ، أي (تشأمنا بك وبمن معك ممن آمن بك ولزمك لما أن قيامك بالدعوة وإيمانهم بك قارن مابتلينا به من المحن والبلايا فلسنا نؤمن بك)[٨٥].

٦. الاتهام بالكذب :

قوله تعالى : **(فَقَالُوا أَبَشَراً مِنَّا وَاحِداً نَتَّبِعُهُ إِنَّا إِذاً لَفِي ضَلَالٍ وَسُعُرٍ . أَأُلْقِيَ الذِّكْرُ عَلَيْهِ مِنْ بَيْنِنَا بَلْ هُوَ كَذَّابٌ أَشِرٌ)**[٨٦] ، يعني: خلقاً مثلنا نَتَّبِعُهُ في أمره إِنَّا إِذاً لَفِي ضَلَالٍ وسُعُرٍ ، يعني: إنّا إذا فعلنا ذلك لَفِي خطأ وعناء ثم قال عز وجل: **(أَ أُلْقِيَ الذِّكْرُ عَلَيْهِ مِنْ بَيْنِنا)** ، يعني: اختص بالنبوة ، والرسالة من بيننا ، **(بَلْ هُوَ كَذَّابٌ أَشِرٌ**) ، يعني: كاذباً على الله **أَشِرٌ** ، يعني: بطراً متكبراً[٨٧].

العناد عند قوم نوح (عليه السلام)

قوله تعالى : **(وَإِنِّي كُلَّمَا دَعَوْتُهُمْ لِتَغْفِرَ لَهُمْ جَعَلُواْ أَصَابِعَهُمْ فِى ءَاذَانِهِمْ وَاسْتَغْشَوْاْ ثِيَابَهُمْ وَأَصَرُّواْ وَاسْتَكْبَرُواْ اسْتِكْبَاراً)**[٨٨] ، أي (ولكي لا يسمعوا صوت الحق كانوا يضعون أصابعهم في آذانهم ، ويلفون ثيابهم حول أنفسهم أو يضعونها على رؤوسهم لئلا تصل أمواج الصوت إلى أدمغتهم..)[٨٩].

إنّ مواجهة الخط الدعوتي وهو خط الهدى من خلال الالتزام بالإيمان بالله تعالى ، ومواجهة هذا الخط من خلال وضع الحواجز والموانع دون وصول الرسالة إلى عقول الناس فتغيير قناعاتهم لأنّ الخط الدعوتي يدعو للإنسانية ومحاربة الفوارق الطبقية .

قوله تعالى : **(وَقَالُواْ لا تَذَرُنَّ ءَالِهَتَكُمْ وَلاَ تَذَرُنَّ وَدّاً وَلاَ سُوَاعاً وَلاَ يَغُوثَ وَيَعُوقَ وَنَسْراً)**[٩٠]

---

[٧٩] السمرقندي ، أبو الليث نصر بن محمد ، بحر العلوم : ج٢ ، ص ١٥٨ .

[٨٠] سورة الحجر الآية ٨١ .

[٨١] القرطبي ، محمد بن أحمد ، الجامع لأحكام القرآن : ج١١ ، ص ٥٣ .

[٨٢] سورة الشعراء الاية ١٥٣ و١٥٤ .

[٨٣] مكارم الشيرازي ، ناصر ، الامثل في تفسير الكتاب المنزل ، ج١١ ، ٤٣٣ .

[٨٤] سورة النمل الآية ٤٧.

[٨٥] الطباطبائي ، محمد حسين ، الميزان في تفسير القرآن : ج١٥ ، ص ٣٧٣ .

[٨٦] سورة القمر الآية ٢٤ و٢٥ .

[٨٧] السمرقندي ، أبو الليث نصر بن محمد ، بحر العلوم : ج٣ ، ٣٧٣ .

[٨٨] سورة نوح الآية ٧.

[٨٩] مكارم الشيرازي ، ناصر ، الامثل في تفسير الكتاب المنزل ، ج١٩ ، ص ٤٩ .

من الأساليب التي أستخدمت ضد الدعوة الالهية لتصحيح الخط المنحرف الفاسد هو أستخدام الأسلوب العاطفي من خلال التمسك بالآلهة المحسوسة والموجودة وعدم ترك عبادتها ، وقد ذكروا خمسة منها ، بينما نوح يدعوا إلى إله واحد وغير محسوس .

(وقالوا يعني الكفار بعضهم لبعض (لا تذرن آلهتكم) أي لا تتركوا عبادة أصنامكم (ولا تذرن وداً ولا سواعاً) وهما صنمان لهم كانوا يعبدونهما ، فكانت (ود) لكلب (وسواع) لهمدان (ويغوث) لمذحج (ويعوق) لكنانة (ونسرا) لحمير)[٩١] .

العناد عند قوم هود (عليه السلام)

قوله تعالى: **(قَالُواْ أَجِئْتَنَا لِنَعْبُدَ اللهَ وَحْدَهُ وَنَذَرَ مَاكَانَ يَعْبُدُ ءَابَآؤُنَا فَأْتِنَا بِمَا تَعِدُنَآ إِنْ كُنتَ مِنَ الصَّادِقِينَ)**[٩٢] ، أي (فيه تعلّق منهم بتقليد الآباء ، وتعجيز هود مشوباً بنوع من الاستهزاء بما أنذرهم به)[٩٣].

إنّ الناس في طبيعتهم يتبعون الآباء في العادات والطقوس التي تعتبر أساس البناء الاجتماعي وأمتداد لحياة الآباء ، فظهور اي دعوة فلا بدّ من دليل للتصديق بها وإلّا مصيرها الرفض والمواجهة فتعتبر دعوة هدامة لموروث أبائهم ..

العناد عند قوم إبراهيم (عليه السلام) :

قوله تعالى : **(إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ مَا هَذِهِ التَّمَاثِيلُ الَّتِي أَنتُمْ لَهَا عَاكِفُونَ . قَالُواْ وَجَدْنَآ ءَابَآءَنَا لَهَآ عَابِدِينَ)**[٩٤] ، أي (عندما يسألونهم عن تلك التماثيل التي كانوا يعبدونها ، فكان جوابهم إنّا وجدنا آباءنا لهذه الأوثان عابدين ، فنحن على ملة آبائنا نعبدها كما كانوا يعبدون[٩٥].

إنّ القضايا العقائدية لا تمنع الابن من مواجهة أبيه لأنّها تتجاوز الانفعالات الشعورية ، فالحواجز النفسية لا تمثل فاصل بين الإنسان وبين الآخرين في قضايا التقاليد والعادات ، كذلك مسألة الدعوة لا تمنع الداعية من مواجهة المقربين له .

قوله تعالى : **(قَالَ هَلْ يَسْمَعُونَكُمْ إِذْ تَدْعُونَ . أو يَنفَعُونَكُمْ أو يَضُرُّونَ . قَالُواْ بَلْ وَجَدْنَآ ءَابَآءَنَا كَذَلِكَ يَفْعَلُونَ)**[٩٦] ، أي (فقال لهم إبراهيم (عليه السلام) هل يسمعونكم هذه الأصنام التي تعبدونها إذا دعوتموها ، أي هل يسمعون أصواتكم ، لأنّ أجسامهم لا تسمع أو ينفعونكم بشيء من المنافع أو يضرون بشيء من المضار . فقالوا عند ذلك ، وجدنا آباءنا كذلك يفعلون أحالوا على مجرد التقليد)[٩٧].

إنّ أساس العبادة هو جلب النفع ودفع الضرر وعبادة هذه الأصنام لم تكن ناشئة من حالة عقلائية ، فهي تقليد للآباء والأجداد .

العناد عند قوم موسى (عليه السلام) :

قوله تعالى : **(قَالُواْ أَجِئْتَنَا لِتَلْفِتَنَا عَمَّا وَجَدْنَا عَلَيْهِ آبَاءنَا وَتَكُونَ لَكُمَا الْكِبْرِيَاءُ فِي الأرض وَمَا نَحْنُ لَكُمَا بِمُؤْمِنِينَ)**[٩٨] ، أي (قالوا: لا نترك الدين الذي نحن عليه ، لأنا وجدنا آبائنا عليه ، فقد تمسكوا بالتقليد ودفعوا الحجة الظاهرة بمجرد الإصرار)[٩٩].

---

[٩٠] سورة نوح الآية ٢٣.

[٩١] الطوسي ، محمد بن الحسن ، التبيان في تفسير القرآن : ج١٠ ، ص ١٤١ .

[٩٢] سورة الأعراف الآية ٧٠.

[٩٣] الطباطبائي ، محمد حسين ، الميزان في تفسير القرآن : ج٨ ، ص ١٧٩ .

[٩٤] سورة الأنبياء الآية ٥٢ و٥٣.

[٩٥] انظر: الطبري ، محمد بن جرير ، جامع البيان عن تأويل آي القرآن : ج١٧ ، ص٢٧ .

[٩٦] سورة الشعراء الآية ٧٢ – ٧٤ .

[٩٧] الطوسي ، محمد بن الحسن ، التبيان في تفسير القرآن : ج ٨ ، ص ٣٢ .

[٩٨] سورة يونس الآية ٧٨.

[٩٩] الفخرالرازي ، محمد بن عمر ، التفسير الكبير (مفاتيح الغيب) : ج١٧ ، ص٢٨٧ .

وإنّ أوّل من يقف بوجه الدعوة ، هم أصحاب المنافع والامتيازات لأنّ هذه القضية تهدد ملكهم وطغيانهم ويحاربونها تحت راية دين الآباء حفاظاً على الاوضاع الفاسدة التي تضمن منافعهم وتحافظ على كياناتهم.

العناد عند قوم النبي محمد(صلى الله عليه وآله):

قوله تعالى : **(وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اتَّبِعُواْ مَآ أَنزَلَ اللهُ قَالُواْ بَلْ نَتَّبِعُ مَآ أَلْفَيْنَا عَلَيْهِ ءَابَآءَنَآ أَوَلَوْ كَانَ ءَابَآؤُهُمْ لا يَعْقِلُونَ شَيْئاً وَلاَ يَهْتَدُونَ)**[١٠٠] ، أي (بيّن سبحانه حالهم في التقليد ، وترك الإجابة إلى الإقرار بصدق النبي(صلى الله عليه وآله) ، فيما جاء به من الكتاب المجيد)[١٠١].

يدين القرآن الكريم المنطق والأسلوب الواهي والخرافي القائم على التقليد الأعمى ، الذي يدعوا إلى عبادة الأوثان ، ومحاربة طريق الهدى .

وقوله تعالى : **(إِذْ جَعَلَ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي قُلُوبِهِمُ الْحَمِيَّةَ حَمِيَّةَ الْجَاهِلِيَّةِ فَأَنزَلَ اللهُ سَكِينَتَهُ عَلَى رَسُولِهِ وَعَلَى الْمُؤْمِنِينَ وَأَلْزَمَهُمْ كَلِمَةَ التَّقْوَى وَكَانُوا أَحَقَّ بِهَا وَأَهْلَهَا وَكَانَ اللهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيماً)**[١٠٢] ، أي (إنّ النبي (صلى الله عليه وآله) قبل صلح الحديبية على الرغم من كبرياء المشركين وعتوهم ، وكره هذا الصلح بعض الصحابة وأصروا على القتال ، ولكن الله سبحانه ألهمهم الصبر الجميل على غطرسة المشركين ، وأمرهم أن يقبلوا الصلح ويرضوا به فسمعوا وعملوا بما يوجبه الإيمان والتقوى ، ولا بدع فإنّهم أهلها وأولى الناس بالعمل بها ، فلقد جاهدوا وضحّوا بالكثير في سبيل الله ، وصبروا صبر الأحرار والأبرار)[١٠٣].

إنّ الإخلاص والولاء للقبيلة دون الوعي الفكري جعلهم يصرون على عدم التنازل عن امتيازاتهم العصبية دون الانفتاح على منطق الحوار والعقل للوصول إلى الأهداف الرسالية ، بالمقابل هذه العصبية لم تجر المؤمنين إلى ردود فعل مماثله ، بل حافظوا على الهدوء والسكينة لأنّهم أصحاب قضية إصلاحية ، فتكون حركتهم ضمن الخط والتوجيه الالهي وهو خط التقوي .

قوله تعالى : **(وَلَوْ نَزَّلْنَاهُ عَلَى بَعْضِ الْأَعْجَمِينَ . فَقَرَأَهُ عَلَيْهِم مَّا كَانُواْ بِهِ مُؤْمِنِينَ)**[١٠٤] ، يعني (إنّا أنزلنا أنزلنا هذا القرآن على رجل عربي بلسان عربي مبين ، فسمعوه وفهموه وعرفوا فصاحته ، وأنه معجز لا يعارض بكلام مثله ، وانضم إلى ذلك بشارة كتب الله السالفة به ، فلم يؤمنوا به وجحدوه ، وسموه شعراً تارة وسحراً أخرى ، فلو نزلناه على بعض الأعجمين الذي لا يحسن العربية لكفروا به أيضاً ولتمحلوا لجحودهم عذراً)[١٠٥] .

والعبرة من ذلك بالرغم من وجود الأدلة على نبوة النبي محمد (صلى الله عليه واله وسلم) ، وصدق لهجته ، إلّا أنّ المعاندين لا تنفعهم الدلائل والبراهين ، كذلك الداعية بالرغم من صدق دعوته لكن المفسدين لا تنفعهم الأدلة والحجج .

تعصب الأقوام السالفة بعضها ضد البعض الآخر :

قوله تعالى : **(وَقَالَتِ الْيَهُودُ لَيْسَتِ النَّصَارَى عَلَى شَيْءٍ وَقَالَتِ النَّصَارَى لَيْسَتِ الْيَهُودُ عَلَى شَيْءٍ وَهُمْ يَتْلُونَ الْكِتَابَ كَذَلِكَ قَالَ الَّذِينَ لا يَعْلَمُونَ مِثْلَ قَوْلِهِمْ فَاللهُ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِيمَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ)**[١٠٦] ، تدلّ الآية على ادعاء كلّ فريق أو تنفي كلّ طائفة الخير عن الأخرى على ما جاء في التفسير ، (فادعى كلّ فريق منهم أن صاحبه ليس على شيء وأنّه أحق برحمة الله منه)[١٠٧].

وفي مكان آخر يستعرض مسألة التقليد الأعمى والتعصب واللجاجة بعنوانها برنامج عام لجميع الأقوام الذين يتحركون في خط الضلالة والباطل :

---

[١٠٠] سورة البقرة الآية ١٧٠.

[١٠١] الطبرسي ، الفضل بن الحسن ، مجمع البيان : ج١ ، ص ٤٧٠ .

[١٠٢] سورة الفتح الآية ٢٦.

[١٠٣] مغنية ، محمد جواد ، تفسير الكاشف : ج٧ ، ص٩٩ .

[١٠٤] الشعراء الآية ١٩٨ و١٩٩.

[١٠٥] الفخرالرازي ، محمد بن عمر ، التفسير الكبير (مفاتيح الغيب) : ج٢٤ ، ص٥٣٣ .

[١٠٦] سورة البقرة الآية ١١٣ .

[١٠٧] القرطبي ، محمد بن أحمد ، الجامع لأحكام القرآن : ج٢ ، ص ٧٦ .

قوله تعالى: **(وَكَذَٰلِكَ مَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ فِى قَرْيَةٍ مِّن نَّذِيرٍ إِلَّا قَالَ مُتْرَفُوهَآ إِنَّا وَجَدْنَآ ءَابَآءَنَا عَلَىٰٓ أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِم مُّقْتَدُونَ)**[١٠٨].

إنّ المتصدين لمحاربة الأنبياء ، والذين كانوا يقولون بمسألة تقليد الآباء ويدافعون عنها بكلّ قوّة ، كانوا من المترفين والأثرياء .. لأنّ هؤلاء أصحاب مصالح وسوف تتعرض مصالحهم إلى الزوال ، ولهذا يحاولون بكلّ الوسائل والأساليب إلى تخدير الناس للمحافظة على الواقع الفاسد ...[١٠٩].

قوله تعالى : **(وَيَقُولُونَ أَئِنَّا لَتَارِكُوٓاْ ءَالِهَتِنَا لِشَاعِرٍ مَّجْنُونٍ)**[١١٠].

هذا الاتهام منهم هو محاولات للضغط والاستسلام للواقع الفاسد ، لانكارهم للرساله الالهية ، فكانت التهمة للنبي من قبل المفسدين بالشاعر وبالجنون .

(لأنّ كلامه كان ينفذ إلى قلوبهم ويحرّك عواطفهم ، فأحياناً كان يتكلّم إليهم بكلام يفوق أفضل الأشعار وزناً ، في الوقت الذي لم يكن حديثه شعراً ، وكانوا يعتبرونه (مجنوناً) لكونه لم يتلوّن بلون المحيط الذي يعيش فيه ، ووقف موقفاً صلباً أمام العقائد الخرافية التي يعتقد بها المجتمع المتعصّب حينذاك ، الموقف الذي اعتبره المجتمع الضالّ في ذاك الوقت نوع من الانتحار الجنوني ، في الوقت الذي كان أكبر فخر لرسول الله (صلى الله عليه وآله) ، هو عدم استسلامه للوضع السائد حينذاك)[١١١].

مصير الأمم التي تركت دعوات الانبياء:

تحدث القرآن الكريم عن مصير الأمم التي تركت دعوات الأنبياء ، ومنها :

مصيرقوم صالح:

إنّ عاقبة المعرضين والغافلين عن دعوة نبي الله صالح (عليه السلام) ، فالعقوبة الالهية اتخذت أنواع من العقوبات ، تمثلت بالعذاب والصيحة والرجفة والصاعقة والطاغية وهذه التعبيرات تدلّ على شدّة ما أصاب القوم من العذاب ، هذه عاقبة مكرهم ، الدمار والديار الخاوية ، في مقابل نجاة النبي (عليه السلام) والذين أمنوا معه ، وهذه رحمة من الله تعالى القوي العزيز.

١. **الرجفة:**

قوله تعالى : **(فَأَخَذَتْهُمُ الرَّجْفَةُ فَأَصْبَحُوا فِي دَارِهِمْ جَاثِمِينَ)**[١١٢].

٢. **الصيحة :**

قوله تعالى : **(فَأَخَذَتْهُمُ الصَّيْحَةُ مُصْبِحِينَ)**[١١٣].

٣. **العذاب :**

قوله تعالى: **(فَأَخَذَهُمُ الْعَذَابُ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُؤْمِنِينَ)**[١١٤].

٤. **الدمار :**

قوله تعالى : **(فَانْظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ مَكْرِهِمْ أَنَّا دَمَّرْنَاهُمْ وَقَوْمَهُمْ أَجْمَعِينَ . فَتِلْكَ بُيُوتُهُمْ خَاوِيَةً)**[١١٥].

٥. **الصاعقة :**

قوله تعالى : **(وَأَمَّا ثَمُودُ فَهَدَيْنَاهُمْ ... فَأَخَذَتْهُمْ صَاعِقَةُ الْعَذَابِ الْهُونِ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ)**[١١٦].

٦. **الطاغية :**

---

[١٠٨] سورة الزخرف الآية ٢٣.

[١٠٩] انظر: مكارم الشيرازي ، ناصر، الأمثل في تفسير الكتاب المنزل: ج١٦ ، ص٣٥ .

[١١٠] سورة الصافات الآية ٣٦.

[١١١] مكارم الشيرازي ، ناصر، الأمثل في تفسير الكتاب المنزل: ج١٤ ، ص ٣١١ .

[١١٢] سورة الأعراف الآية ٧٨ .

[١١٣] سورة الحجر الآية ٨٣ .

[١١٤] سورة الشعراء الآية ١٥٨ .

[١١٥] سورة النمل الآية ٥١ و٥٢ .

[١١٦] سورة فصلت الآية ١٧ .

قوله تعالى : (فَأَمَّا ثَمُودُ فَأُهْلِكُوا بِالطَّاغِيَةِ)[١١٧].

مصير قوم موسى :

يعدّ فرعون وقومه من أشدّ الأقوام عداءاً اتجاه أنبيائهم ، فقد بعث الله تعالى إليهم نبيه موسى (عليه السلام) وأخيه هارون ، وكانت الدعوة في المجال السياسي لأنّها مرحلة الصراع السياسي مع السلطة الحاكمة فرعون واتباعه ، فلاقوا منهم الويلات والعناد والكبر ، وأيّد الله موسى بمعجزتين ، وهما : عصاه التي تتحول إلى أفعى حقيقية ، إضافة إلى يده التي يضمها إلى جناحه فتخرج بيضاء من غير سوء يمسها.

قوله تعالى : (فَأَلْقَى عَصَاهُ فَإِذَا هِيَ ثُعْبَانٌ مُبِينٌ . وَنَزَعَ يَدَهُ فَإِذَا هِيَ بَيْضَاءُ لِلنَّاظِرِينَ)[١١٨].

فاقتنع السحرة أن المعجزتان هما فعلاً من الله تعالى ، حينها آمن السحرة مع موسى وهارون .

قوله تعالى : (قَالُوا آمَنَّا بِرَبِّ الْعَالَمِينَ . رَبِّ مُوسَى وَهَارُونَ)[١١٩].

فعذبهم فرعون وقتلهم ، عندها اشتدّ تعذيب فرعون وقومه لموسى وهارون ومن اتبعهم من طائفة المؤمنين ، فاستحق بدء الغضب الإلهي عليه وعلى قومه :

١. **نقص من الثمرات :**

قوله تعالى: (وَلَقَدْ أَخَذْنَا آلَ فِرْعَونَ بِالسِّنِينَ وَنَقْصٍ مِّن الثَّمَرَاتِ لَعَلَّهُمْ يَذَّكَّرُونَ)[١٢٠].

٢. **الطوفان :**

قوله تعالى: (فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ الطُّوفَانَ وَالْجَرَادَ وَالْقُمَّلَ وَالضَّفَادِعَ وَالدَّمَ آيات مُّفَصَّلاَتٍ فَاسْتَكْبَرُواْ وَكَانُواْ قَوْماً مُّجْرِمِينَ)[١٢١].

٣. **الطمس :**

قوله تعالى : (وَقَالَ مُوسَى رَبَّنَا إِنَّكَ آتَيْتَ فِرْعَوْنَ وَمَلأَهُ زِينَةً وَأَمْوَالاً فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا رَبَّنَا لِيُضِلُّواْ عَن سَبِيلِكَ رَبَّنَا اطْمِسْ عَلَى أَمْوَالِهِمْ وَاشْدُدْ عَلَى قُلُوبِهِمْ فَلاَ يُؤْمِنُواْ حَتَّى يَرَوُاْ الْعَذَابَ الأَلِيمَ)[١٢٢].

٤. **الصاعقة :**

قوله تعالى : (وَإِذْ قُلْتُمْ يَا مُوسَى لَن نُّؤْمِنَ لَكَ حَتَّى نَرَى الله جَهْرَةً فَأَخَذَتْكُمُ الصَّاعِقَةُ وَأَنتُمْ تَنظُرُونَ)[١٢٣].

٥. **الغرق :**

قوله تعالى : (وَجَاوَزْنَا بِبَنِي إِسْرَائِيلَ الْبَحْرَ فَأَتْبَعَهُمْ فِرْعَوْنُ وَجُنُودُهُ بَغْياً وَعَدْواً حَتَّى إِذَا أَدْرَكَهُ الْغَرَقُ قَالَ آمَنْتُ انّه لا إِلَهَ إِلَّا الَّذِي آمَنَتْ بِهِ بَنُو إِسْرَائِيلَ وَأَنَا مِنَ الْمُسْلِمِينَ)[١٢٤].

مصيرقوم شعيب :

قوم شعيب أمة مدين ، بعث الله إليها نبيه شعيباً (عليه السلام) يدعوهم إلى عبادة الله وحده ونبذ عبادة ما سواه ، وكانوا مع شركهم يبخسون الناس أشياءهم ينقصون المكيال والميزان ، فهم يسيئون في حق الله سبحانه وتعالى ويسيئون في حق الناس ، فهو يدعوهم إلى إصلاح الاعتقاد الصحيح وإصلاح الأحوال ، والامتثال لأمر الله ، وهي دعو ة في المجال الاقتصادي . كما في قوله تعالى : (وَإِلَى مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْباً قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُواْ الله مَا لَكُم مِّنْ إِلَـهٍ غَيْرُهُ وَلاَ تَنقُصُواْ الْمِكْيَالَ وَالْمِيزَانَ إِنِّيَ أَرَاكُم بِخَيْرٍ وَإِنِّيَ أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ مُّحِيطٍ)[١٢٥].

---

[١١٧] سورة الحاقة الآية ٥ .

[١١٨] سورة الأعراف الآية ١٠٧ و ١٠٨ .

[١١٩] سورة الأعراف الآية ١٢٠و١٢١ .

[١٢٠] سورة الأعراف الآية ١٣٠ .

[١٢١] سورة الأعراف الآية ١٣٣ .

[١٢٢] سورة يونس الآية ٨٨ .

[١٢٣] سورة البقرة الآية ٥٥ .

[١٢٤] سورة يونس الآية ٩٠ .

[١٢٥] سورة هود الآية ٨٤ .

ولمّا حذرهم نبي الله شعيب (عليه السلام) من نقمة الله وبطشه استهزءوا ، وقالوا:
في قوله تعالى : **(أَصَلاَتُكَ تَأْمُرُكَ أَن نَّتْرُكَ مَا يَعْبُدُ آبَاؤُنَا أو أَن نَّفْعَلَ فِي أَمْوَالِنَا مَا نَشَاءُ)**[١٢٦].
فأنزل الله عليهم العقوبة في ثلاثة مواطن :
قوله تعالى : **(فَأَخَذَتْهُمُ الرَّجْفَةُ فَأَصْبَحُوا فِي دَارِهِمْ جَاثِمِينَ)**[١٢٧].
لأنّهم قالوا: **(لَنُخْرِجَنَّكَ يَا شُعَيْبُ وَالَّذِينَ آمَنُواْ مَعَكَ مِن قَرْيَتِنَا أو لَتَعُودُنَّ فِي مِلَّتِنَا)**[١٢٨].
قوله تعالى : **(وَأَخَذَتِ الَّذِينَ ظَلَمُواْ الصَّيْحَةُ)**[١٢٩].
وذلك لأنّهم استهزءوا بنبي الله في قولهم: **(أَصَلاَتُكَ تَأْمُرُكَ أَن نَّتْرُكَ مَا يَعْبُدُ آبَاؤُنَا أو أَن نَّفْعَلَ فِي أَمْوَالِنَا مَا نَشَاءُ إِنَّكَ لأَنتَ الْحَلِيمُ الرَّشِيدُ)**[١٣٠].

مصير قوم نوح :

إنّ دعوة النّبي نوح (عليه السلام) التي أستمرت تسعمائة وخمسون عاماً ، كما قال الله تعالى **(وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحاً إِلَى قَوْمِهِ فَلَبِثَ فِيهِمْ أَلْفَ سَنَةٍ إِلَّا خَمْسِينَ عَاماً فَأَخَذَهُمُ الطُّوفَانُ وَهُمْ ظَلِمُونَ)**[١٣١] ، حيث أرسله الله تعالى إلى قوم أولي بأسٍ شديدٍ ، والمتدبر لهذه الآية الكريمة يُدرك طول فترة دعوة نوح (عليه السلام) ، وكم لبث من عمره وهو يدعوا إلى طريق الحق .
لكنّهم طغوا فأهلكهم الله تعالى بالطّوفان ، وكان الطّوفان هو العذاب الذي أهلّك الله فيه قوم نوح (عليه السلام) ؛ لأنّهم سخروا من نبي الله ولم يطيعوه في الإيمان بالله تعالى ، فإنتقم الله منهم بالطّوفان.
قوله تعالى : **(ٱصْنَعِ ٱلْفُلْكَ بِأَعْيُنِنَا وَوَحْيِنَا فَإِذَا جَاء أَمْرُنَا وَفَارَ ٱلتَّنُّورُ فَاسْلُكْ فِيهَا مِن كُلّ زَوْجَيْنِ ٱثْنَيْنِ وَأَهْلَكَ إِلاّ مَن سَبَقَ عَلَيْهِ ٱلْقَوْلُ مِنْهُمْ . . . إِنَّهُمْ مُّغْرَقُونَ)**[١٣٢].
وجاء تفصيل عملية الغرق بالماء في موضع آخر :
إنّ قوم نوح اصيبوا بالجدب لعدة سنوات ، وكانوا ينتظرون سقوط الأمطار وفجأة نزل عليهم المطر من كلّ جانب ، وأدى إلى الطوفان .
قوله تعالى : **(فَفَتَحْنَا أَبْوَبَ ٱلسَّمَاء بِمَاء مُّنْهَمِرٍ . وَفَجَّرْنَا ٱلأَرْضَ عُيُوناً فَٱلْتَقَى ٱلْمَاء عَلَىٰ أَمْرٍ قَدْ قُدِرَ وَحَمَلْنَاهُ عَلَىٰ ذَاتِ أَلْوحٍ وَدُسُرٍ تَجْرِي بِأَعْيُنِنَا جَزَاء لِّمَن كَانَ كُفِرَ)**[١٣٣] ، أي (إنّ الماء قد فار من جميع جهات الأرض وفجّرت العيون وهطلت الأمطار من السماء ، واتّصل الماء بعضه ببعض وشكّل بحراً عظيماً وطوفاناً شديداً)[١٣٤].

مصير قوم هود :

إن الله سبحانه أرسل رسوله هوداً (عليه السلام) إلى قوم عاد يدعوهم إلى عبادة الله الواحد الصمد ، ويطلب منهم نبذ عبادة غيره من الأوثان والآلهة ، فاستخف به قومه ، وسخروا منه ، واستمروا في طغيانهم يعمهون ، فعاقبهم الله على موقفهم ، بأن أرسل عليهم ريحاً قوية ، استأصلت شأفتهم ، وجعلتهم حصيداً ، ونجّا الله هوداً والذين معه من المؤمنين ، وقد أخبر القرآن الكريم عن العذاب الذي حلّ بقوم هود (عليه السلام) بعبارات متنوعة ومعبرة:

---

[١٢٦] سورة هود الآية ٨٧ .
[١٢٧] سورة الأعراف الآية ٨٧ .
[١٢٨] سورة الأعراف الآية ٨٨ .
[١٢٩] سورة هود الآية ٦٧ .
[١٣٠] سورة هود الآية ٨٧ .
[١٣١] سورة العنكبوت الآية ١٤ .
[١٣٢] سورة المؤمنون الآية ٢٧ .
[١٣٣] سورة القمر الآية ١١- ١٤ .
[١٣٤] مكارم الشيرازي ، ناصر، الامثل في تفسير الكتاب المنزل ، ج١٧ ، ص ٣٠٩ .

قوله تعالى : **(فَأَنْجَيْنَاهُ وَالَّذِينَ مَعَهُ بِرَحْمَةٍ مِنَّا وَقَطَعْنَا دَابِرَ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَمَا كَانُوا مُؤْمِنِينَ)**[١٣٥].

قوله تعالى : **(فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحاً صَرْصَراً فِي أَيَّامٍ نَحِسَاتٍ لِنُذِيقَهُمْ عَذَابَ الْخِزْيِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَلَعَذَابُ الْآخِرَةِ أَخْزَى وَهُمْ لَا يُنْصَرُونَ)**[١٣٦].

مصير قوم لوط :

دعوة النبي لوط (عليه السلام) تمثلت بالنصيحة إلى قومه ، ونصحهم بترك المعاصي وحذرهم من غضب الله عز وجل منهم ، حيث كانت مهمة قوم لوط صعبة جداً لأنّها دعوة أخلاقية جاءت لتغيير غرائز تعوّد عليها القوم وتركها سيكون صعب عليهم ، لأنّهم يتمادوا في كفرهم وفسقهم وجهرهم بالفاحشة بين الناس.

قوله تعالى: **(كَذَّبَتْ قَوْمُ لُوطٍ بِالنُّذُرِ)**[١٣٧]

قوله تعالى: **(كَذَّبَتْ قَوْمُ لُوطٍ الْمُرْسَلِينَ. إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ لُوطٌ أَلَا تَتَّقُونَ. إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ)**[١٣٨].

ولم ينفع النصح لهم ، وبدأ عذاب قوم لوط ، بدّل إمطار الماء ، بإمطار الحجارة .

قوله تعالى : **(فَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا جَعَلْنَا عَالِيَهَا سَافِلَهَا وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهَا حِجَارَةً مِنْ سِجِّيلٍ مَنْضُودٍ . مُسَوَّمَةً عِنْدَ رَبِّكَ وَمَا هِيَ مِنَ الظَّالِمِينَ بِبَعِيدٍ)**[١٣٩].

وعذاب قوم لوط كان بالصيحة لقوله تعالى : **(فَأَخَذَتْهُمُ الصَّيْحَةُ مُشْرِقِينَ . فَجَعَلْنَا عَالِيَهَا سَافِلَهَا وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِمْ حِجَارَةً مِنْ سِجِّيلٍ)**[١٤٠].

أسباب رفض دعوات الأنبياء (عليهم السلام)

من أسباب رفض دعوات الأنبياء (عليهم السلام) :

١. **الاعتزاز بالموروث :**

إنّ حالة الاعتزاز عند الأقوام والثقة به واعتباره هو الحلّ وهو طريق النجاة ، فهم في رضا بما عندهم من مثلهم الأعلى .. وهم به قانعون وفرحون ، لأنّه يمثل ارث الآباء الذين ناضلوا وأعطوا وتحملوا وقدموا ، فهو ارث الأعزاء.

قوله تعالى : **(إِنَّهُمْ أَلْفَوْا آبَاءَهُمْ ضَالِّينَ . فَهُمْ عَلَى آثَارِهِمْ يُهْرَعُونَ)**[١٤١] ، أي (أنّهم يتبعون آباءهم اتباعاً في سرعة كأنّهم يزعجون إلى اتباع آبائهم ، والمقصود من الآية إنّه تعالى علّل استحقاقهم للوقوع في تلك الشدائد كلّها بتقليد الآباء في الدين وترك اتباع الدليل)[١٤٢].

٢. **الانسجام مع الواقع المنحرف:**

والأمر الأخر الذي يجعلهم يرفضون دعوات الأنبياء (عليهم السلام) هو أنّهم ألفوا ما عندهم ، وانسجموا معه ورتبوا حياتهم ومصالحهم وثقافتهم عليه وإنّ تغير المألوف والمعتاد ليس بالأمر السهل ويستدعي عناء وإعادة نظر ، وتشكيك بالسابقين وبكل أعمالهم السابقة.

قوله تعالى : **(إِنَّهُمْ أَلْفَوْا آبَاءَهُمْ ضَالِّينَ . فَهُمْ عَلَى آثَارِهِمْ يُهْرَعُونَ)**[١٤٣].

٣. **المثل الأعلى :**

---

[١٣٥] سورة الأعراف الآية ٧٢ .

[١٣٦] سورة فصلت الآية ١٦ .

[١٣٧] سورة القمر الآية ٣٣ .

[١٣٨] سورة الشعراء الآية ١٦٠ و١٦٢ .

[١٣٩] سورة هود الآية ٨٢ و٨٣ .

[١٤٠] سورة الحجر الآية ٧٣ و٧٤ .

[١٤١] سورة الصافات الآية ٦٩و٧٠

[١٤٢] الفخر الرازي ، محمد بن عمر ، التفسير الكبير (مفاتيح الغيب) : ج٢٦ ، ٣٨٨ .

[١٤٣] سورة الصافات الآية ٦٩و٧٠ .

يضاف إلى ذلك أنّ الذي جاءهم من أبائهم ، وألفوا عليه لم يكن أمراً سيئاً أو مضراً بل على العكس فإنّ مثلهم الأعلى ، قد استنهض الآباء وحررهم ودفعهم خطوة نحو الأمام فيما عذرهم فيه خير ومجرب ، ولذا فهم يرفضون استبداله ، لأنّه فيه خير حسب اعتقادهم كما يشير هذا الحوار القرآني .

قوله تعالى : **(قَالَ أَوَلَوْ جِئْتُكُمْ بِأَهْدَى مِمَّا وَجَدْتُمْ عَلَيْهِ آبَاءَكُمْ قَالُوا إِنَّا بِمَا أُرْسِلْتُمْ بِهِ كَافِرُونَ)**[١٤٤] ، أي (تتبعون ما وجدتم عليه آباءكم ولا تقبلون ما جئتكم به وفي هذا أحسن التلطف في الاستدعاء إلى الحق وهو إنّه لو كان ما يدعونه حقاً وهدى وكان ما جئتكم به من الحق أهدى منه كان أوجب أن يتبع ويرجع إليه ثم أخبر أنّهم أبوا أن يقبلوا ذلك و«قالُوا إِنَّا بِما أُرْسِلْتُمْ بِهِ» أيها الرسل «كافِرُونَ»)[١٤٥].

لاحظ كلمة (**أَهْدَى مِمَّا وَجَدْتُمْ عَلَيْهِ آبَاءَكُمْ**) ففيه نوع من التسليم الجدلي بأنّهم على هدى ولو في زمن مضى وفي فترة استنفذت اغراضها.

وهذا الاعتزاز في مبرر موقف التكذيب للأنبياء(عليهم السلام) ، هو أن مبرر الرفض للدعوات الإلهية ، بأنّها مُحدث جديد ، ويبدو أن تركيز الرافضين للمحدث هو محاولة للتخويف من الجديد ، لأنّه غير مجرب وغير مضمون وانتقال إلى مجهول ، وتطرح عادة في مجتمعات يكون مثلها الأعلى ما زالوا يشعرون بما حقق لهم من انجاز ولو خطوة صغيرة للأمام ، ما يجعلهم يعتبرون ويفرحون بما في أيديهم ويبررون رفضهم للدعوات النبوية بأنّها جديدة غير معروفة .

٤. خدعة قديمة وأكذوبة:

في مقابل الرفض على أساس إنّه مُحدث جديد غير مجرب ، يأتي الرفض للدعوات الإلهية بحجة أنّها ، خدعة قديمة .

كما في قوله تعالى : **(وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلَّذِينَ آمَنُوا لَوْ كَانَ خَيْرًا مَا سَبَقُونَا إِلَيْهِ وَإِذْ لَمْ يَهْتَدُوا بِهِ فَسَيَقُولُونَ هَذَا إِفْكٌ قَدِيمٌ)**[١٤٦]، أي (هذا تبرير على تركهم الإيمان وأنّهم يتميزون على غيرهم في الفكر والالتزام بالخط الصحيح وعدم قبولهم أن يتقدم الغير عليهم ، ويصفون القرآن أنّه من الأساطير القديمة ولو كان الإيمان بالقرآن لماسبقونا إليه ليصوروا أنّ رفضهم للرسالة يتحرك من موقع عدم قبولهم إلّا الخير الذي اكتشفوا أنّ الدعوة القرآنية لا تمثله ، أنّ أقوالهم لا تستند إلى فكر بل نابعة من الكبرياء)[١٤٧].

الخاتمة :

بعد هذا الجهد المتواضع والعرض المسهب في بحث مواجهة دعوات الانبياء (عليهم السلام) ، يمكننا في نهاية المطاف أن نخرج بخلاصة ، تتضمن أهم النتائج الحاصلة خلال هذا البحث وهي :

- يستعرض القران الكريم موقف المجتمعات التي وقفت ضد دعوات الانبياء
- ان الهدف الاساسي والمحوري من دعوات الانبياء قيام العدل والعدالة في المجتمع .
- من أبرز الظواهر التي واجهة دعوات الانبياء تجلت في ظاهرة الاستهزاء والسخرية والتشكيك والعناد
- من اهم الاسباب في رفض دعوات الانبياء ثقافة التمسك والاعتزاز بالموروث والانسجام مع الواقع المنحرف .
- أتبع الانبياء والرسل (عليهم السلام) في مواجهة الاعداء الاسلوب السلمي الحكمة والموعظة الحسنة
- تحدث القران وبشكل مفصل عن مصير الامم التي تركت ووقفة ضد دعوة الانبياء والعقوبات الالهية التي تعرضت تلك الامم ، كالغرق والصاعقة والطوفان والصيحة ونقص في الخيرات ..
- تحلى اسلوب الانبياء بالحكمة والعقلانية والصبر مع اعدائهم .

---

[١٤٤] سورة الزخرف الآية ٢٤ .

[١٤٥] الطبرسي ، الفضل بن الحسن ، مجمع البيان : ج ٩ ، ص ٦٨ .

[١٤٦] سورة الاحقاف الآية ١١ .

[١٤٧] انظر فضل الله ، محمد حسين ، تفسير من وحي القرآن : ج٢١ ، ص ١٩ .

المصادر:

القرآن الكريم .

١. ابن إدريس الحلي ، محمد بن أحمد ، **المنتخب من تفسير التبيان** ، مكتبة المرعشي ، قم ، ط١ ، ١٤٠٩ هـ .
٢. ابن عطية الأندلسي ، عبد الحق بن غالب (ت ٥٤٦)، **المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز** ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ط١ ، ١٤١٢هـ .
٣. الإمام الصادق (عليه السلام) ، جعفر بن محمد (ت ١٤٨ هـ) ، **مصباح الشريعة ومفتاح الحقيقة** (المنسوب) ، منشورات الأعلمي ، بيروت ، ط١ ، ١٩٨٠م .
٤. الزمخشري ، أبو القاسم محمود بن عمر (ت ٥٣٨)، **الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في التأويل** ، دار إحياء التراث العربي، بيروت ، ط٣، ١٤٠٧هـ.
٥. سعادت برور ، علي (معاصر) ، **سر الأسرار في شرح حديث المعراج** ، مكتبة التشيع ، المطبعة سبهر ، ط١ ، ١٣٧٤ش.
٦. السمرقندي ، نصر بن محمد (ت ٣٩٥ هـ) ، **بحر العلوم** ، دار الفكر ، بيروت ، ط١ ، ١٤١٦ هـ .
٧. الشوكاني ، بدر الدين محمد بن علي بن محمد (ت١٢٥٠هـ) ، **نيل الأوطار من أحاديث سيد الأخيار** ، دار الجيل ، بيروت ، ١٩٧٣م .
٨. الطباطبائي ، محمد حسين (ت ١٤٠٢هـ) ، **الميزان في تفسير القرآن** ، جامعة مدرسين ، قم ، ط٥ ، ١٤١٧ هـ .
٩. الطبرسي ، أمين الإسلام أبو علي الفضل بن الحسن (ت٥٤٨هـ) ، **مجمع البيان في تفسير القرآن** ، طهران ، ط٣ ، ١٤١٣هـ .
١٠. الطبري ، محمد بن جرير (ت ٣١٠ هـ)، **جامع البيان في تأويل القرآن** ، دار المعرفة ، بيروت ، ط١، ١٤١٢ هـ
١١. الطوسي ، محمد بين الحسن (ت٤٦٠هـ) ، **التبيان في تفسير القرآن** ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت .
١٢. الفخر الرازي ، محمد بن عمر (ت ٦٠٦ هـ) ، **التفسير الكبير (مفاتيح الغيب)** ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت ، ط٣ ، ١٤٢٠هـ .
١٣. فضل الله ، محمد حسين ، (معاصر) ، **تفسير من وحي القرآن** ، دار الملاك ، بيروت ، ط٢ ، ١٤١٩ هـ .
١٤. الفيض الكاشاني ، محمد محسن بن مرتضى بن محمود (ت١٠٩١هـ) ، **المحجة البيضاء في تهذيب الإحياء** ، ت على أكبر الغفاري ، جامعة مدرسين ، قم ، ط٢، ١٣٨٣ش.
١٥. القرطبي ، محمد بن أحمد (ت ٦٧١ هـ)، **الجامع لأحكام القرآن** ، منشورات ناصر خسرو ، طهران ،ط١، ١٤٠٦ هـ.
١٦. الكليني أبي جعفر، محمد بن يعقوب (ت٣٢٩ هـ) ، **الأصول من الكافي** ، دار الكتب الإسلامية ، طهران ، ط٤ ، ١٣٦٥ ش .
١٧. الليثي الواسطي ، كافي الدين علي بن محمد ، **عيون الحكم والمواعظ** ، دار الحديث ، قم ، ط١ ، ١٣٧٦ ش .
١٨. المتقي الهندي ، علاء الدين ، كنز العمال **في سنن الأقوال والأفعال** ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، ١٩٨٩ م.
١٩. مغنية ، محمد جواد (ت ١٤٠٠ هـ) ، **تفسير الكاشف** ، دار الكتب الإسلامية ، طهران ، ط١ ، ١٤٢٤ هـ .
٢٠. مكارم الشيرازي ، ناصر (معاصر) ، **تفسير الأمثل في تفسير الكتاب المنزل** ، مدرسة الإمام علي ، قم ، ط١ ، ١٤٢١هـ.
٢١. النوري الطبرسي ، ميرزا حسين بن محمد تقي (ت١٣٢٠هـ) ، **مستدرك الوسائل** ، مؤسسة ال البيت (ع) لإحياء التراث ، بيروت ، ط١ ، ١٩٨٧م